12 - سورة المائدة - الآية: 50.
13 - يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة.
14 - سورة النساء - الآيات: 162، 163، 164.
15 - سورة النساء - الآيات: 149، 150، 151.
16 - سورة المائدة - الآية: 46.
17 - سورة المائدة - الآيتان: 48، 49.
18 - سورة الصف - الآية: 06.
19 - إنجيل يوحنا 16:12.
20 - ديدات مرجع سابق، ص66.
21 - مصطفى محمود الله، دار العودة - بيروت، 1972، ص82، 83.
22 - دعاء ختم القرآن في آخر المصحف الشريف برواية ورش، الأزهر، 1964م - مصر، ص163.
23 - محمد الغزالي عالمية الإسلام، دار الشهاب - الجزائر، 1985 ن ص7.
24 - صورة النساء - الآية: 161.
25 - سورة النساء - الآية: 151.
26 - سورة النساء - الآية: 124.
27 - سورة فصلت - الآية: 32.
28 - سورة البقرة - الآية: 135.
29 - سورة البقرة - الآية: 136.
30 - سورة البقرة - الآية: 86.
31 - سورة آل عمران - الآيتان: 2، 3.
32 - سورة البقرة - الآية: 250.
33 - محمد متولي الشعراوي: هذا هو الإسلام كتاب الحرية 1، ط 2، 1985 - مصر، ص88.
34 - سورة الأعراف - الآيات: 157، 158، 159.
35 - سورة هود - الآية: 118.
36 - سورة يونس - الآية: 99.
37 - سورة آل عمران - الآية: 63.
38 - حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في مسنديهما.
39 - الإنجيل يوحنا، وفي كل الأناجيل أكدت ذلك.
40 - علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعار - مصر، 1969م، ص18.

كلام الله من خلال لغة العرب

أ/د. ميشال أمين عبد الكريم بارو
مدير معهد الدراسات العربية والإسلامية
كلية اللغات والادب والحضارة الاجنبية
جامعة ستراسبورغ - فرنسا

حينما نقول "الله أكبر" معناه ان الله فوق مستوى الكائنات والعوالم والازمنة؛ معناه ان الله كمال بلاحدود، لابداية له ولانهاية؛ كمال مطلق ولكي يفهم من طرف البشر بصفته كائن ضعيف محدود القوى العقلية والجسدية. محدود الوجود، أي انه ذو بداية ونهاية؛ فقد جسد الله سبحانه وتعالى خطابه المقدس في اداة من طبيعة الانسان من مستواه، ألا وهو اللغات الانسانية. فعدد الالفاظ محدود، وعدد احرف الكلمات محدود، وطول الجمل وعددها محدودان، وتتابع الجمل محدود ايضا. اذا فالمسألة التي تطرحها لنا الرسالات المنزلة هي توافق الكامل واللاكامل من أجل هدف سماوي قاعدته الايمان بوحدانية الله وبرسله وملائكته وباليوم الآخر وبوجوب عمل الصالحات للدنيا والآخرة. وما كان للانسان ان يفهم هذه القاعدة الالهية وتفاصيلها لولا جسدها الحق تعالى في اللغات التي عبرها مر خطابه وفهم، وهي كما نعرف اللغات السامية.

إن الترابط بين التوحيد والعماد المادي للغات السامية هي حقيقة مؤكدة في تاريخ البشر؛ إلا أن أهم شيء يجب التركيز عليه في هذا الصدد والذي يهم موضوعنا هو اللغة العربية وآخر خطاب وجهه الله للبشرية جمعاء : القرآن الكريم، وهذا موضوع جذاب يستحق الدراسات الطويلة العميقة. اذا كانت اللغات البشرية اداة ناقصة محدودة الكم والكيف، فإن اللغة العربية، وإن ظلت هي الأخرى محدودة ناقصة ككل مخلوق إلا ان فيها شيئا من الكمال. ان فيها نفحة من المطلق الطليق، شيئا من الاتساع اللامحدود. لهذا فالجانب

المعجز في هذا الكتاب الكريم ليس في الكم، وإنما في الكيف؛ في اسلوبه وفكره وطريقةشموله.

لقد كان تعلمي للغة العربية الفصحى سببا من الاسباب التي دفعتني الى دراسة القرآن الكريم في أصله وفهم حقيقة اعجازه مستغنيا عن كل الترجمات الموجودة، وبالتالي كان ايماني بالله سبحانه وتعالى وإعلان إسلامي. فمثلما حيرني-وأنا طفل صغير- تناسق اشياء هذا الكون وتشابكها بشكل رائع عجيب؛ فكذلك اللغة العربية التي ما كنت لأعرف انفرادها بميزة رائعة لو لم أتعاط للغات اجنبية أخرى تعلمتها منذ الصغر، جعلني هذا أقارن فاكتشف سرا جديدا من اسرار هذا الكون.

لقد اختار الله تعالى لرسالاته المنزلة ثلاث لغات سامية : العبرية للتوراة، والآرامية للإنجيل وأخيرا العربية للقرآن. والسؤال المطروح الآن هو : لماذا خص الله سبحانه اللغة العربية بالذات لرسالة جاءت تشمل كل الرسالات وتعقد ما انقطع بين الأرض والسماء، فتجمع بين الروح والجسد، الدين والدنيا؛ والجواب الوحيد هو أنه ليس في وسع أية لغة أخرى استيعاب دين العظمة والاتساع والشمول؛ ليس كل لغة تملك مؤهلات تخول لها السمو الى مستوى هذا البلاغ وايصاله الى مفهوم مختلف طبقات البشر في أروع شكل شهده تاريخ الرسالات.

ولذلك اعتبر هذا الاختيار اكبر نعمة اغدقها الله على عربيي اللسان، لأن بفضل لغتهم يمكنهم الغوص في اعماقها واكتشاف دررها النفيسة والاستمتاع بقمة بلاغة وبيان الكتاب المقدس، بالاضافة الى فهم مضمونه، وهي نعمة محروم منها كثير من المسلمين غير العرب في العالم. ونعرف ان ترجمة القرآن الكريم الى أية لغة اخرى عاجزة في المبدأ عن الوفاء ببلاغها الكامل. هل في لغتنا الفصحى ما يميزها عن سائر اللغات على صعيد التعبير الوافي عن القيم المادية والروحية معا؟

لقد كان للغة الفصحى شأن عظيم في الجاهية، فدون بها العرب أيامهم بما شهدته من جدالات وحروب وسلم، ومتغيرات اجتماعية ومشاعر انسانية وشيم عربية... الخ. وصلنا كل ذلك في شكل كلام فصيح بليغ، موزون ومقفى، كان احسن فن تغذى به الروح والذوق وينال به المقصود. إنه فن قول الشعر؛ فكان عندما ينبع شاعر بقبيلة ما يقيم له اهلها الاحتفالات وتقدم له الهدايا، لأنه صار بيده تخليد ايامها ومآثرها، والدفاع عن كرامتها بأحد سلاح عند العرب وهو سلاح فن القول. ولايذكر لنا تاريخ العالم أمة انشأت أسواقا للرواية اللغوية والأدبية مثلما فعلت العرب، وأشهرها سوق عكاظ. وقد لخص كل هذا محمد بن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" عندما قال : "الشعر ديوان العرب". إذن فقد برهنت هذه اللغة قبل الاسلام على قوتها البلاغية وعن غناها اللامثيل له -الشيء الذي خول لفحول الجاهلية تطويعها وتشكيلها في أروع الابداعات الشعرية. فإذا كانت الأمم الغابرة قد خلدت نفسها بالحجر، فإن العرب قد خلدتها بالكلمة الخفاقة. وقد يتبادر الى ذهن البعض التساءل التالي : لم اختيارهم للكلمة كلبنة لتشييد حضارتهم؟ وهنا يمكن القول بأن العرب منذ غابر عصورها أحست أن الكلمة العربية ليست كباقي الكلمات، إنها بطبيعتها كلمة نابضة، خفاقة، وفي نفس الوقت شاملة، مستوعبة لذات الأشياء؛ فهي تارة مجنحة تطير كالفراشات النادرة تنال من القلوب الاعجاب والدهشة، وتارة كنبيذ الجنة يحلو ويمتع دون أن يذهب بلباب العقول، وتارة كالسهم المسموم تكفي منه خدشة ليميت. كانت العرب تعي أن الكلمة العربية عطرة تشتم من بعيد فتفهم حالا دلالاتها...

كان العربي فنانا مرهف الحس؛ إذا سمع شعرا أدرك بسرعة مواطن الجمال فيه أو القبح؛ وقد بلغ النظم العربي من البلاغة والبيان ذروته حتى نزول القرآن الكريم؛. أراد له الخالق جمالا أشمل وأوسع، لتصير به اللغة العربية-حقا وأبدا- سيدة لغات البشر. وإذا كانت هذه اللغة قد مرت بفترة ضعف عند فجر الاسلام، فإنه لم يصدر ذلك من طبيعتها، وإنما مما أصاب

العرب من دهشة وإذهال أمام بلاغة الكتاب المقدس وبيانه، انحنى لهما الشعر صاغرا، فتوقف كبار الشعراء عن قول الشعر كلبيد بن ربيعة -مثلا- الذي قال: « ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمني الله سورة البقرة وآل عمران »، قرآن نزل بلغة قريش، هذه القبيلة التي كانت تجيد انتقاء الأفصح من الألفاظ، وأسهلها نطقا على اللسان، وأحسنها وقعا في المسامع، وأنجحها إبانة عما في النفس فكانت رسالته تعالى كلاما تستوي فيه رفعة الكلمة العربية بسمو الفكرة الإلهية، هذا التوازن المعجز الذي كانت تفتقده العربية عند الجاهليين إلا نادرا كما في بيت لعنترة تنبض فيه روح العفة والتمنع عن متاع الدنيا، وذلك حين يقول:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني * أغشى الوغى وأعف عند المغنم**

لذلك اعتقد البعض أنه لو أدرك الاسلام لكان من زمرة معتنقيه، لكن بصفة عامة، كان الشعر آنذاك شعر متعة في أغلب الاحيان، تحطم مع تحطم الوطنية لتقوم على انقاض لغة وطنية جديدة، لغة قصة وجمال.

وهذا التناسق الشامل هو من روح الاسلام الذي يوصل ما بين الأرض والسماء، الجسد والروح، وما بين الانسان والكائنات؛ اقتبست العربية الفصحى من الاسلام سعته وشموله وتناسقه الذي يعد سنة من سنن الكون وعنصرا من عناصر جماله.

لقد حظي الجانب الاعجازي للغة العربية باهتمام العرب في القرون التي والت نزول القرآن الكريم، إذ قاموا بدراسات عميقة ومفصلة تناولت مختلف جوانب البلاغة والبيان في اللغة العربية بصفة عامة، وفي القرآن الكريم بصفة خاصة، وأهم هذه الدراسات التي أضحت مع الزمن أهم أمهات المصادر تشد إليها كل المهتمين بهذه اللغة؛ اذكر منها : "كتاب البيان والتبيين" للجاحظ، "الموازنة" للآمدي، ثم "دلائل الاعجاز" و "اسرار البلاغة في علم البيان" للإمام عبدالقاهر الجرجاني.

وقد اعتمد القدماء في ذلك -بالاضافة الى الانطباعات الشخصية والذوق الفردي- على الوسائل العلمية التي كانت حديثة عصرهم.

يتضح ذلك في الأسلوب العلمي الدقيق المرتكز على المقارنة والتأمل وتقديم الحجج والبراهين، مؤكدين أن هذه اللغة هي بمثابة عصا سحرية في يد من يعرف قوانين ترويض كلماتها، وهي نسج من الخيال العجيب بين أنامل تمهر في نسج خيوطها. وبعبارة أخرى أن هذه اللغة تتكون من قسمين : الظاهر والباطن؛ فليس كل من اتقن ظاهرها تمكن من أسرارها فأبدع، بل لابد من معرفته للجزء الباطني منها وهو الكفيل بإبانة الجوانب الإعجازية فيها وتفسيرها.

إن اللفظة العربية لدى عبدالقاهر الجرجاني في كتابه المذكور "دلائل الاعجاز" كالجوهرة الثمينة لايظهر جمالها الحقيقي إلا من خلال طريقة تنسيقها مع باقي أخوتها من الألفاظ، فكلما كان التنسيق جميلا كانت أجمل؛ ولا يقبل ان يكون الاعجاز في الكلمة المفردة أو في معنى الكلمة المفردة، بل هو ينظر الى باطن مجمل الكلام ولايأخذ بمعنى ظاهره. يقول في صفحة 23 من نفس الكتاب : "الألفاظ لاتتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث كلم مفردة". فالمجاز -مثلا- يتضح في النظم لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ" (ص286). فإذا مدحت انسانا بالكرم قلت له "انت كثير رماد القدر"، وهي عبارة غنية وكثيفة بأسمى معاني الكرم، يسمح لخيال السامع تكوين صور مختلفة ومتشكلة للمدوح؛ ولايمكن التوصل الى هذا الهدف البلاغي اذا لم ينظر لألفاظ العبارة في هذه النظم الخاص الذي صيغت فيه، وهو نظم يؤكد الحقيقة ويتجاوزها. لهذا فالاعجاز البلاغي والبياني في القرآن الكريم لا يفهم اذا لم تفهم خصائص نظم كلامه.

صحيح أن "الكناية ابلغ من الافصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن الاستعارة مزية وفضل، وأن المجاز ابدا أبلغ من الحقيقة" كما قال الجرجاني في الكتاب السالف الذكر(ص109). لكن ليس هذا وحده الذي يعطي لهذه اللغة

روعة بلاغية وبيانية، بل هناك شيء آخر شكل جزءا من الاعجاز البياني في القرآن الكريم، وهو ما أشار اليه بشر بن المعتمر في وصيته البلاغية التي أدرجها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"(ج1)، وهو حين تقع الألفاظ في أماكنها المناسبة من الكلام وتصير الى قرارها دون ان تكون مكرهة على احتلال أوطان غيرها من الألفاظ؛ وأن لاتكون كثيرة لمعاني قليلة أو قليلة لمعاني كثيرة. يقول الجاحظ في "الحيوان"(ص8) : "وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها". وفي هذا الصدد يطيب لي أن أعطي مثالين من القرآن الكريم أعتبرهما شخصيا في قمة الجمال الفني، وذلك حين يقول سبحانه : <<**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**>>؛ [المائدة: 3] وسورة مريم من الآية 1 الى الآية 33، منها قوله تعالى عن النبي يحيا -عليه السلام- : <<**وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا**>>. [الآية: 15]

فانظروا الى هذا التلاحم العجيب بين أجزاء الألفاظ وائتلافها وامتزاجها بروح المعنى ببساطة غير عادية، وهو جانب من جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم أضحى فيما بعد قدوة يهتدي بها كل من أراد امتطاء قمة من قمم هذه اللغة الشامخة، وتربية جمالية هذب بها الشعراء المسلمون شعرهم، خصوصا وأن الخلفاء كانوا يشجعون على ذلك، فعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-مثلا- كما جاء في كتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر(ص69)، كان يستحسن شعر زهير لأنه لم يكن يعاظل بين الكلام مثلما صار يفعل أغلبية شعراء الصنعة فيما بعد، الشيء الذي أفقدهم جمالية اللغة وعذوبتها كما في قول أبي تمام :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا ❊❊❊ عنه فلم يتخون جسمه الكمد

والذي قال عنه الآمدي في "الموازنة"(ص118) : "فإذا تأملت المعنى مع ما أفسده من اللفظ، لم تجد له حلاوة ولافيه كبير فائدة. فالتكلف إذن لايضيف شيئا لهذه اللغة لأنه ليس من طينتها، والاسلوب القرآني جاء يؤكد أن الجمال

في هذه اللغة لايقتلع من صخرها وإنما يقتني من أغصانها كثمار الجنة.

إن العلوم الحديثة اليوم تضع في أيدينا مفاتيح جديدة يجب استغلالها لأنها تمكن من اكتشاف أسرار كامنة للغة الفصحى، وهو الشيء الذي أسعى اليه في السنوات الاخيرة. وقد أثبتت الدراسات اللغوية والسيميائية التي قمت بها أن بنية اللغة العربية تتجلى في مستويين :

- **المستوى السطحي،** وهو الظاهر.
- **المستوى العميق،** وهو الباطن.

1- **مستوى البنية السطحية :** وهو ما كان يهم علماء النحو والصرف، وهو تنظيم الرصيد اللغوي في جذور من جهة، وصيغ وأوزان من جهة أخرى؛ فيوقفنا الاشتقاق على العلاقات الصرفية بين الألفاظ اعتبارا من الكلمات الأصول، ومن ثم كانت نظرية الزيادة التي تحيل أصل معظم الألفاظ الرباعية الى اصول ثلاثية بزيادة حرف واحد، أو كما عند بعض اللغويين تقوم على نحت أصلين او ثلاثة مثل : (خلبس) من (خلب) بزيادة سين في "لسان العرب"، أو من (خلب) و (خلس) في "مقاييس اللغة".

في المستوى السطحي يحتجون بالدلالة المنسوبة لكل من الجذور.،

ههما مثالان :

أ) - كلمة الصراط

قال الزمخشري في "الكشاف" : الجادة، من سرط الشيء اذا ابتلعه، لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه، كما سمي : لقما، لأنه يلتقمهم {...} والمراد طريق الحق هو ملة الاسلام. "مجاز كلمة السبيل الذي يعني في رأيهم ما يسترط المسافر، معتمد على معنى الابتلاع المنسوب الى جذر (س ر ط) الذي هو الجذر الأقرب الى كلمة الصراط (بالصاد في لغة قريش) : وألاحظ أنه يمكننا إضافة مثلين جديدين الى ما استدل به الزمخشري، وهما : النقم (بمعنى اللقم أو

الوضح) ومقلوبه النمق إزاء فعل نقم (أي : ابتلع شيئا بسرعة)، ثم النهام (بمعنى الجادة) إزاء فعل نهم (أي : جاع جوعا شديدا)...

ب) - كلمة الهجير (أو الهاجرة)

قال ابن فارس في "المقاييس" : نصف النهار عند اشتداد الحر {...} سميت هاجرة لأن الناس يستكنون في بيوتهم، كأنهم قد تهاجروا. "نرى أنه يستند على معنى "القطع والترك" المنسوب الى جذر (هـ ج ر) كما هو الأمر في : الهجرة والمهاجر وتمهجر الخ."

نلاحظ من خلال هذين المثالين أن الجذور تتميز في معظم الأحوال بتعدد معانيها.

والكثير من التحليلات التقليدية تميل الى انكار هذا التعدد، فترجع جميع المدلولات المتباينة الى معنى اللفظة الأصل بتفسير مجازي فحسب. فيما يخص الرباعي المزيد إلا أنه لايصح ولا يصلح لتفسير سائر المعاني. وذلك مثل جذر (د ع ل ج)؛ قد أرجعوه الى جذر (د ل ج) الذي تعني بعض مشتقاته "سافر ليلا" وأخرى "وزع الماء أو الحليب في الأواني". إلا أن جذر (د ع ل ج) يحتوي على اثنتي عشرة قيم دلالية معظمها لايتفق مع فحوى جذر (د ل ج)؛ مثلا : دعلج بمعنى "الاعشاب الكثيفة الملتفة" (وهو أقرب الى الدغل) او بمعنى "الأكول" (وهو أقرب الى الحلج) أو بمعنى "الحمار" (وهو أقرب الى العلج) أو بمعنى "الغلام الحسن الناعم" (وهو أقرب الى الغلج-أي زهو الشباب-والى العسلج-أي القوام الرشيق)... وكذلك الدعلجة بمعنى "الناقة العاصية" (وهي أقرب الى العلجان-أي حركات الناقة التي لاتنقاد).

هذا التنوع الهائل للمدلولات هو اذن مرتب ومنظم في بنى صرفية حسب نظام مرتبط قبل كل شيء بالنحو، الشيء الذي يجمع عدة معان متباينة في جذر واحد، وبالتالي يتفاقم الاشتراك اللفظي الى حد يستحيل معه الاستقصاء في أعماق اللغة.

2- **مستوى البنية العميقة :** لايقتصر اتصال الألفاظ على الاشتقاق أو القلب و الابدال التي وصفها القدماء، وإنما طبيعته سيميائية محضة، إذ أن الخطاب اليومي للعربي الجاهلي قد سجل القيم التعبيرية والاسلوبية في صميم بنية الألفاظ، وليس فقط في الجذر والصيغة، إذ تتفكك الكلمة العربية الى أجزاء أقصر منهما؛ وهي عناصر ليس لها وجود مستقل بعكس الكلمة نفسها، إلا أنها متواجدة في فئات من الألفاظ المتناظرة كمثل (ع ج) بمعنى "السرعة" في : معج ونعج وعسج ودعسج وعثج وعفج وعجرف وعجرم وعنجج وعمج الخ.

إن المنهجية الحديثة في البحث العلمي للبناء اللغوي يسمح لنا بإلقاء الضوء على أعماق اللغة الفصحى؛ وهكذا تمكنت بعون الله من البرهنة على أن كل لفظة عربية مرتبطة أجزاؤها بشبكة من الألفاظ غير المترادفة تتقاسم فيما بينها قيما دلالية مترابطة من حيث التصور الجماعي الأصيل لأشياء الدنيا والآخرة. سوف يصدر لي مقالة مفصلة في هذا الصدد-بمشاركة الأستاذة كنزة بورجا من وجدة، المغرب- في مطابع إيران الجامعية، خلال شهر يناير المقبل إن شاء الله.

لقد طبقت على اللفظ القرآني المذكور (الصراط) منهجيتي التفكيكية، فأتاحت لي كشف الترابطات الصميمة بين تلك الكلمة وسائر الرصيد اللغوي الفصيح على مستويي الدال والمدلول. فتعتبر نواة لشبكة كثيفة من الألفاظ تشترك فيها عشر قيم : (المسيرة الهادفة) و(العبور) و(المصير والخلاص) و(المدفي الفضاء) و(الحدة) و(الضيق والتضييق) و(العدو والسرعة) و(العدل والانحراف) و(الزل والسقوط) وأخيرا (الابتلاع)... تجمعت هذه القيم في كلمة هامة للعربي الجاهلي -وخاصة للبدوي المرتحل من مرعى الى آخر، من بئر الى أخرى في طلب المورد والحياة، المتحدي لأخطار الضلال عن السبيل والتورط في الهاوية، مهديا الى الخلاص بحدسه وخبرته. وجاء الاسلام فعظم هذه القيم وجعلها هداية نيرة للجميع. لضيق الوقت لن أقدم لحضراتكم تفصيل البراهين

على كل ذلك، فأحيلكم الى مقالتي "أصالة لفظ الصراط. أدلة وبصائر"، الصادرة في مجلة كلية الشريعة بجامعة القرويين، عدد 20(1995)، ص106-85، وكذلك الى مقالي :"الصراط المستقيم في الاسلام أو المعنى في منتهى الطريق، الصادر هذا العام بطهران في أعمال الملتقى الدولي المنعقد بستراسبورغ في 1994 حول "الصور والتصورات في دار الاسلام"، ص179-142.

فيما يخص (الهجير والهاجرة) يدلنا تفكيك مبناهما الى ثلاثة أجزاء (هـ ج-هـ ر-ج ر) على أن قيمة (شدة الحر) ناجمة عن انتماء الكلمتين الى ثلاث سلاسل من الالفاظ المشتقة من جذور مترابطة، تقتسم هذه القيمة :

- **هـ ج** : وهج وهجّ وهيج وهجًا وهجو [ثم مع الابدالات : أ ج وأجم وأكّ وعكّ ووعك وتوهّق]الخ. -هـ ر: وهر وكهر وظهر وصهر [ثم مع الابدالات : أرّ ،أور وحرّ وحرق وحمر]الخ. -ج ر: اجرّ وجير وجرّة وسجر ونجر وماجور وجمر الخ.

هل نحتاج الى مزيد من التبيين وتقوية البرهان على أن البنية العميقة للهجير والهاجرة، بمعنى اشتداد الحرّ (في منتصف النهار)، أقرب الى هذه الكلمات والجذور منها الى الافتراق الذي قال به التأويل القديم...

وهذا شأن كل كلمة عربية، فكثافة شبكة علاقاتها مع سائر ألفاظ اللغة اضخم بكثير من مجرد انتسابها الى جذر وصيغة. وليست هذه الكثافة نتيجة لإبدال حرف من أحرفها بحرف من أحرف كلمة أخرى- من نفس الوزن- (كالحقيقة والهقهقة)، أو نتيجة لتقاسم حرفين ودلالة واحدة كمثل (عذل وعذم) أو(الذنب والذيب)، أو نتيجة لزيادة حرف الى أصل ثلاثي كما يقال في أمر (زرد وزردب وزردم)؛ فهذا كله ظاهر من ظواهر المستوى السطحي. إن الترابطات السيميائية بين الألفاظ راجعة الى توصيل التصورات والنطباعات والأحكام في الحضارة العربيـة القديمة، المتجددة عند فجر الاسلام وازدهار العالم الاسلامي في القرون الوسطى؛ فتنجم كثافتها عن التفاعلات المتعددة التي شهدتها لغة العرب من مطلعها حتى العصر الحديث. وبفضل

كثافة المبنى والمعنى اكتسبت الكلمة الفصحى قوتها الدلالية والتعبيرية، لا بسبب طبيعة حروفها فحسب، وإنما لأن إلقاءها يوحي في اللاشعور بكلمات ذات قيم متصلة بها، فتنعكس أضواؤها الخفية على الكلمة المستعملة. لقد ارتكز الخطاب الإلهي على هذا العماد الصوتي والدلالي، وهو متجل في كل لفظ من الألفاظ القرآنية، كما رأينا في تحليلنا للفظة الصراط، والتي معانيها تفوق بكثير مجرد المعنى السائد المعروف -الذي هو الطريق- والمجاز التقليدي- الذي هو استراط المسافر.

في خظم تلك العلاقات الصميمة اللامتناهية، المتجددة بمرور الزمن، الجامعة بين الضامن الصوتي والمضمون الدلالي، تتجلى اللغة العربية في أعماق ألفاظها وكأنها مجرات خالدة في فضاء الكون. تتفاعل معانيها، فتخلق عالم الدلالات، كما تحدث جاذبية الأجرام العلوية مدارات الكواكب والأفلاك...

يجدر بنا القول بأن الاختيار الإلهي للغة الفصحى لتنزيل الحق بها على المصطفى الأمين -عليه الصلاة والسلام-، المنتمي الى أفصح قبائل العرب، من أجل تبليغ قوله العزيز لكافة البشر، لآية من آيات حكمته ومشيئته سبحانه وتعالى، وهو بكل شيء عليم.